بين المد والجزر

لإيليا أبو ماضي

سيّرت في بحر الحياة سفينتي ... واخترت قلبي ان يكون امامي
خبرت على الامواج قصر أمن رؤى ... ملء الفضا ملء المدى المترامي
وأقلّ منها البحر حين اقلّها ... دنيا من الاضواء والانغام
وشى الخيال على الحياة بسحره ... فاذا الهوى في الماء والاكمام
واذا الزمان ازاهرٌ مواجةٌ ... والشط هيكل شاعر رسام
واذا الشباب ملاعب ومراقصٌ ... واذا أنا من صبوة لغرام
أتلمّس اللذات غير محاذر ... وأعبّ في الزلات والآثام
لا اكتني واخاف اني أكتني ... فكأنما في الاكتفاء حمامي
وكأن حبي ان تطول ضلالتي ... وكأن ربّي ان يدوم اوامي
مرّت بي الاعوام تتلو بعضها ... وانا كأني لست في الاعوام
كالموج ضحكي كالغناء ترنحي ... كالفجر زهوي كالخضم عرامي
حتى اذا حتف المشيب بلمتي ... ودنت يد الماحي الى أحلامي
صرخ «الحجى» بي ساخطاً متهكماً ... «هذا الفنى شرٌّ من الاعدام»
«حتى متى تمشي بغير نظام؟ ... حتى متى تمشي لغير مرام؟»
«أسلمتني «بالقلب» وهو مضللٌ ... فاضرّني واضرك استسلامي»
«يا صاحبي أطلقني من سجن الرؤى
أنا تائه!
... أنا جائع!
... ... أنا ظامٍ»

***

وأراد عقلي أن يقود سفينتي ... لشط في بحر الحياة الطامي

فطويتُ أعلام الهوى وهجرتها ونسيت حتى انها أعلامي
وحسبت آلامي انتهت لما انتهى فاذا النهاية أعظم الآلام
واذا الطريق وساوس ومخاوف واذا أنا من هبوةٍ لقتام
أبغي الرّواء ولم يكن من مطلبي وأرى الجناة بناظرٍ متعام
وأشيد مثل الناس مجداً زائفاً واشد حول الروح ثوب رغام
فاذا انا والارض ملكي والسما قد صرت عبد الناس عبد حطامي
فتضايق القلب السجين وقال لي « يا أيها الجاني قتلت حياتي !
« اقفر بالاحلام وروض ضاحكٌ فاذا تلاشت فالرياض سوامي »
« اين العيون تذيبني حركاتها وعثوث في سكناتها آلامي »
« وأطل من أعدابها السكرى على ظلٍّ وانداءٍ وزهرٍ نامِ »
« لما عصاني ان أشب ضرامها اعيا عليها ان تشب ضرامي »
« الخمر ملء الجام لكن قد مضى شوقي الى الخمر التي في الجام »
« أسلمتني لمعقل فهو مضللٌ فاضربي واضربك استسلامي »
« انظر ألست تراك في اوهامه أشقى وأتعس منك في أوهامي »
« اللات ؟ من ذا يشتريه كله مني بليل صبابة وغرام »

« يا صاحبي اطلقني من سجن النهى

أنا قاتلٌ !

انا جائعٌ !

انا ظامي ؟

***

لا تسألوني اليوم عن تياري تياري خشبٌ بلا امام !